تفسير سورة الإخلاص

تأليف

أبي عاصم البركاتي المصري

١٤٤١ هـ

تفسير سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)}

عدد أياتها : أربع آيات، وهي مكية في قول الجمهور.

أسماءها: سورة الإخلاص كما في سنن الترمذي وسنن النسائي وورد في" الزهد" لأحمد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما من قوله موقوفا : " قَالَ: إِنَّ سُورَةَ الْإِخْلَاصِ {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ " وتسمى كذلك سورة الواحد الصمد؛ وسورة "قل هو الله أحد" ؛ وسورة التوحيد كما ورد في تفسير الفخر الرازي "مفاتيح الغيب"(٣٢ /٣٥٧)؛ وتسمى الأساس؛ قال السيوطي في "الإتقان" (١ /١٩٧) وسورة الْإِخْلَاصِ: تُسَمَّى الْأَسَاسَ لَاشْتِمَالِهَا عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَهُوَ أَسَاسُ الدِّينِ.

[ارتباط الاسم بالمعنى]

السور في القرآن أسماؤها توقيفي على الراجح؛ وتسمى السور بشيء ورد ذِكره فيها؛ أو بمعنى عظيم دلت عليه؛ فالفاتحة تسمى سورة الحمد وأم القرآن والرقية وتسمى كذلك سورة الصلاة.

وسورة التوبة تسمى الفاضحة.

وكذلك سورة الإخلاص سميت بهذا الاسم لأنها دالة على حقيقة الإخلاص؛ فهي آمرة بالتوحيد الخالص؛ وتنزيه الله تعالى عما لا يليق به.

[سبب نزول السورة]

أخرج الترمذي (٣٣٦٤) وأحمد (٢١٢١٩) عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ} فَالصَّمَدُ: الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُولَدُ إِلاَّ سَيَمُوتُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يَمُوتُ إِلاَّ سَيُورَثُ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَمُوتُ وَلاَ يُورَثُ: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} قَالَ: لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ وَلاَ عِدْلٌ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

وأخرج البيهقي في "الأسماء والصفات" برقم (٦٠٦) بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ الْيَهُودَ، جَاءَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ الْأَشْرَفِ وَحُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، صِفْ لَنَا رَبَّكَ الَّذِي بَعَثَكَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ} فَيَخْرُجُ مِنْهُ {وَلَمْ يُولَدْ} فَيَخْرُجُ مِنْ شَيْءٍ، {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ} وَلَا شَبَهٌ. فَقَالَ: «هَذِهِ صِفَةُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَتَقَدَّسَ عُلُوًّا كَبِيرًا».

وجاء في تفسير الرازي " مفاتيح الغيب" (٣٢/ ٣٥٧) : رَوَى عَطَاءٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ وَفْدُ نَجْرَانَ، فَقَالُوا: صِفْ لَنَا رَبَّكَ أَمِنْ زَبَرْجَدٍ أَوْ يَاقُوتٍ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ؟ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ لِأَنَّهُ خَالِقُ الْأَشْيَاءِ فَنَزَلَتْ: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" قَالُوا: هُوَ وَاحِدٌ، وَأَنْتَ وَاحِدٌ، فَقَالَ: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"، قَالُوا: زِدْنَا مِنَ الصِّفَةِ، فَقَالَ: "اللَّهُ الصَّمَدُ " فَقَالُوا: وَمَا الصَّمَدُ؟ فَقَالَ: الَّذِي يَصْمُدُ إِلَيْهِ الْخَلْقُ فِي الْحَوَائِجِ، فَقَالُوا: زِدْنَا فَنَزَلَ: "لَمْ يَلِدْ " كَمَا وَلَدَتْ مَرْيَمُ: "وَلَمْ يُولَدْ" كَمَا وُلِدَ عِيسَى: "وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ" يُرِيدُ نَظِيرًا مِنْ خَلْقِهِ.

وعليه ذهب بعض الناس إلى أن السورة مدنية.

[مناسبة[1] السورة لما قبلها]

قبلها سورة تبت: وتسمى سورة المسد؛ وقد ذكر الله فيها أبا لهب وامرأته اللذين حاربا دعوة التوحيد بكل ما يستطيعان من سُبُل وحيل وتمسكا بالشرك وعبادة الأوثان والأصنام؛ فكانا من أهل النار؛ فجاءت سورة الإخلاص لتأمر الناس بالتوحيد ونبذ الشرك والبراءة منه وأن الله تعالى ليس له كفء ولا عدل ولا شبيه؛ وأن ذلك سبيل النجاة من النار.

قال السيوطي: وقد توازنت السورتان فِي اللَّفْظِ في آخر "تَبَّتْ" وَأَوَّلِ "الْإِخْلَاصِ" . [راجع الإتقان للسيوطي (٣ /٣٨١)]

[مناسبة السورة لما بعدها]

بعد أن بينت سورة الإخلاص صفات الله تعالى وأنه لا مثيل له ولا ند له ولا مكافيء له؛ جاءت بعدها سورة الفلق لتأمر بالإستعاذة برب الفلق أي الصبح يعني من شر الصبح إذا انفلق نوره ومن شر الليل وظلامه ومن شر الخلق أجمعين؛ لأنه سبحانه وحده القادر على جلب النفع ودفع الضر؛ فهو وحده الإله القادر الذي لا يغلب لأنه لا ند له ولا كفء له.

[من مقاصد السورة]

١- الدعوة إلى توحيد الله تعالى والبراءة من الشرك والكفر .

٢- بيان صفة الرحمن سبحانه وتعالى.

(١) علم الْمُنَاسَبَة: علمٌ يبْحَث فِي الْمعَانِي الرابطة بَين الْآيَات بَعْضهَا بِبَعْض، وَبَين السُّور بَعْضهَا بِبَعْض، حَتَّى تُعرف عللُ تَرْتِيب أَجزَاء الْقُرْآن الْكَرِيم. ["مصابيح الدرر في تناسب آيات القرآن الكريم والسور" ص ١٨ للباحث عادل بن محمد أبو العلا]

٣- تتريه الله تعالى عن صفات النقائص فلم يلد و لم يولد، ولا ولد له ولا صاحبة له؛ تتره سبحانه وتقدس.

٤- نفي مماثلة ومشابهة الله تعالى لخلقه.

٥- صفات الله توقيفية؛ ففي السورة أثبت الله لنفسه بعض الصفات؛ وبعض الصفات نفاها الله عن نفسه.

[فضائل سورة الإخلاص]

ورد في فضل سورة الإخلاص نصوص عديدة :

(١) محبة السورة تدخل الجنة:

أخرج البخاري معلقًا (١/ ١٥٥) ووصله الترمذي (٢٩٠١) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ يَؤُمُّهُمْ فِي مَسْجِدِ قُبَاء، وَكَانَ كُلَّمَا افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بِهَا لَهُمْ فِي الصَّلاَةِ مِمَّا يَقْرَأُ بِهِ افْتَتَحَ: بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى مَعَهَا، وَكَانَ يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أَصْحَابُهُ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تَفْتَتِحُ بِهَذِهِ السُّورَةِ، ثُمَّ لاَ تَرَى أَنَّهَا تُجْزِئُكَ حَتَّى تَقْرَأَ بِأُخْرَى، فَإِمَّا تَقْرَأُ بِهَا وَإِمَّا أَنْ تَدَعَهَا، وَتَقْرَأَ بِأُخْرَى فَقَالَ: مَا أَنَا بِتَارِكِهَا، إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أَؤُمَّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ، وَكَرِهُوا أَنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرُوهُ الخَبَرَ، فَقَالَ: «يَا فُلاَنُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ» فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا، فَقَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الجَنَّةَ».

(٢) دوام قراءها سبب لمحبة الله تعالى :

أخرج البخاري (٧٣٧٥) ومسلم (٨١٣) عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ رَجُلًا عَلَى سَرِيَّةٍ، وَكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلاَتِهِمْ فَيَخْتِمُ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ،

فَلَمَّا رَجَعُوا ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «سَلُوهُ لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟»، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ».

(٣) تعدل ثلث القرآن:

أخرج مسلم (٨١١) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ – رضي الله عنه – عَنْ النَّبِيِّ — صلى الله عليه وسلم – قَالَ أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟ قَالُوا: وَكَيْفَ يَقْرَأْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ؛ قَالَ: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ.

وأخرج الترمذي برقم (٢٨٩٦) عَنْ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ فِي لَيْلَةٍ ثُلُثَ القُرْآنِ؟ مَنْ قَرَأَ: اللَّهُ الوَاحِدُ الصَّمَدُ فَقَدْ قَرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ ".

وأخرج مسلم برقم(٨١٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ اللهُ الصَّمَدُ حَتَّى خَتَمَهَا.

وللترمذي برقم (٢٨٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ» هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ "

وأخرج مسلم (٨١٢) والترمذي (٢٩٠٠) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احْشُدُوا، فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»، فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: إِنِّي أُرَى هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «إِنِّي قُلْتُ لَكُمْ سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، أَلَا إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».

وأخرج الحسن الخلال في "فضائل سورة الإخلاص" برقم (٢) بسنده عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «مَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مَرَّتَيْنِ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ ثُلُثَيِ الْقُرْآنِ، وَمَنْ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَكَأَنَّمَا قَرَأَ جَمِيعَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».

وأخرج ابن الضريس في "فضائل القرآن" (٢٥٥) عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ كُلَّ لَيْلَةٍ، ثُلُثَ الْقُرْآنِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ».

وأخرج البخاري (٥٠١٣) البيهقي في "السنن الصغرى" (٩٧٠) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَجُلًا، سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ يُرَدِّدُهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ،- وَكَانَ الرَّجُلُ يَتَقَالُّهَا، وَقَالَ الْقَعْنَبِيُّ يَقَالُّهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ».

(٤) قرأها أحد الصحابة فوجبت له الجنة:

فقد أخرج الترمذي (٢٨٩٧) والنسائي في "الكبرى" (١٠٦٨) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَقْبَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَ رَجُلًا يَقْرَأُ: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ». قُلْتُ: مَا وَجَبَتْ؟ قَالَ: «الجَنَّةُ».

(٥) رجاء استجابة دعاء من توسل بها:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقِيَنِي عِنْدَ بَابَ الْمَسْجِدِ، فَأَخَذَ بِيَدِي فَأَدْخَلَنِي الْمَسْجِدَ، فَإِذَا رَجُلٌ يُصَلِّي وَيَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،

لَقَدْ سَأَلَ رَبَّهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى، وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ» [أبو داود (١٤٩٣) والنسائي في الكبرى(١١٦٥٢) وأحمد (٢٢٩٥٢)] .

[توجيه العلماء لكون سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن]

قال الفخر الرازي في تفسيره(٣٢ /٣٥٨): اشْتُهِرَ فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ قِرَاءَةَ هَذِهِ السُّورَةِ تَعْدِلُ قِرَاءَةَ ثُلُثِ الْقُرْآنِ، وَلَعَلَّ الْغَرَضَ مِنْهُ أَنَّ الْمَقْصُودَ الْأَشْرَفَ مِنْ جَمِيعِ الشَّرَائِعِ وَالْعِبَادَاتِ، مَعْرِفَةُ ذَاتِ اللَّهِ وَمَعْرِفَةُ صِفَاتِهِ وَمَعْرِفَةُ أَفْعَالِهِ، وَهَذِهِ السُّورَةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى مَعْرِفَةِ الذَّاتِ، فَكَانَتْ هَذِهِ السُّورَةُ مُعَادِلَةً لِثُلُثِ الْقُرْآنِ. انتهى

وقال الخطيب الشربيني الشافعي في تفسيره "السراج المنير"(٤ /٦١٠) : فإن قيل: لم كانت تعدل ثلث القرآن؟ أجيب: بأن القرآن أنزل أثلاثاً ثلث أحكام، وثلث وعد ووعيد، وثلث أسماء وصفات فجمعت هذه السورة أحد الأثلاث، وهو الأسماء والصفات.

ونقل النووي رحمه الله في "شرح مسلم" (٦/ ٩٥) عن المازري فقال: قَالَ الْقَاضِي: قَالَ الْمَازِرِيُّ: قِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلَاثَةِ أنحاء قصص وأحكام وصفات لله تعالى وقل هو الله أحد متمحضة لِلصِّفَاتِ فَهِيَ ثُلُثٌ وَجُزْءٌ مِنْ ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ. ا هـــ

[مواضع كان يقرأ فيها صلى الله عليه وسلم بسورة الإخلاص]

(١) الْقِرَاءَةِ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ:

فقد أخرج عبد الرزاق في "مصنفه" (٤٧٨٨) عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: أَسَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقِرَاءَةَ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ وَقَرَأَ فِيهِمَا قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ".

وأخرج عبد الرزاق في" مصنفه" (٤٧٩٠) قَالَ: أَخْبَرَنَا الثَّوْرِيُّ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: " رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ مِنْ

خَمْسٍ وَعِشْرِينَ أَوْ قَالَ: أَكْثَرَ مِنْ عِشْرِينَ مَرَّةً ـ شَكَّ أَبُو بَكْرٍ ـ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وَقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ "

وأخرج ابن حبان في "صحيحه" (٢٤٦٠) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ رَجُلًا قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، فَقَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} حَتَّى انْقَضَتِ السُّورَةُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا عَبْدٌ عَرَفَ رَبَّهُ»، وَقَرَأَ فِي الْآخِرَةِ: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} حَتَّى انْقَضَتِ السُّورَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا عَبْدٌ آمَنَ بِرَبِّهِ» فَقَالَ طَلْحَةُ: «فَأَنَا أَسْتَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ فِي هَاتَيْنِ الرَّكْعَتَيْنِ».

(٢) القراءة في صلاة الفجر أحيانًا:

فقد اخرج ابن الضريس في "فضائل القرأن" برقم (٢٥٣) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: " صَلَّى بِنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْفَجْرَ فَقَرَأَ فِي الرَّكْعَةِ الْأُولَى: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَفِي الثَّانِيَةِ: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: «قَرَأْتُ لَكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ وَرُبُعَهُ».

(٣) القراءة في ركعتي الطواف:

أخرج مسلم في صحيحه برقم (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه :

ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَام، فَقَرَأَ: {وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} [البقرة: ١٢٥] فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، ـ فصلى ركعتين ـ كَانَ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ {قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ} وَ{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} .

قال النووي في "شرح صحيح مسلم"(٨ / ١٧٦) : وقد ذكره الْبَيْهَقِيُّ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَافَ بِالْبَيْتِ فَرَمَلَ مِنَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ثَلَاثًا ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ قَرَأَ فِيهِمَا قُلْ يَا أَيُّهَا الكافرون وقل هو الله أحد. اهـ

[الحكمة في ارتباط سورة الإخلاص بسورة " قُلْ يَا أَيُّهَا الْكافِرُونَ "]

يرى المتأمل أن السورتين الكريمتين دلت دلالة ظاهرة واضحة على مفهوم الولاء والبراء ففي سورة الإخلاص تأكيد على ما جاءت به سورة الكافرون، من وجوب التوحيد الخالص والبراءة مما سوى ذلك؛ لذلك كان من السنة قراءة هذه السورة وسورة الكافرون في راتبة المغرب والصبح.

قال الفخر الرازي في تفسيره (٣٢ /٣٥٨) : اشْتَرَكَتِ السُّورَتَانِ أَعْنِي: "قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ " ، وَ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" فِي بَعْضِ الْأَسَامِي فَهُمَا الْمُقَشْقِشَتَانِ وَالْمُبَرِّئَتَانِ، مِنْ حَيْثُ إِنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا تُفِيدُ بَرَاءَةَ الْقَلْبِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ تَعَالَى، إِلَّا أَنَّ: "قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ" يُفِيدُ بِلَفْظِهِ الْبَرَاءَةَ عَمَّا سِوَى اللَّهِ وَمُلَازَمَةَ الِاشْتِغَالِ بِاللَّهِ، وَ "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" يُفِيدُ بِلَفْظِهِ الِاشْتِغَالَ بِاللَّهِ وَمُلَازَمَةَ الْإِعْرَاضِ عَنْ غَيْرِ اللَّهِ أَوْ مِنْ حَيْثُ إِنَّ: قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ تُفِيدُ بَرَاءَةَ الْقَلْبِ عَنْ سَائِرِ الْمَعْبُودِينَ سِوَى اللَّهِ، وَ: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" تُفِيدُ بَرَاءَةَ الْمَعْبُودِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ. انتهى

[التداوي بسورة الإخلاص]

أخرج الخلال في "فضائل سورة الإخلاص" (٥٩) والطبراني في "الدعاء" (١١٢١) كلاهما بسنده عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ: عَادَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «أُعِيذُكَ بِالْأَحَدِ الصَّمَدِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ مِنْ شَرِّ مَا تَجِدُ» رَدَّدَهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ قَالَ: «تَعَوَّذْ بِهَا يَا عُثْمَانُ، فَمَا تَعَوَّذْتُمْ بِخَيْرٍ مِنْهَا».

وأخرج البخاري(٥٠١٧): عَنْ عَائِشَةَ: " أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ، ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فِيهِمَا: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" وَ"قُلْ

أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ" وَ"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ"، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ".

[تفسير قوله تعالى : { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}]

فالأحد اسم من أسماء الله الحسنى، ومعنى الأحد أي أحد في ذاته فليس مركبًا من جزئيات ولا ماهيات؛ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي ذَاتِهِ تَرْكِيبٌ وَلَا تَأْلِيفٌ بِوَجْهٍ مِنَ الْوُجُوهِ؛ فهو وصف لله بالوحدانية؛ أي واحد في ذاته؛ وفيه كذلك نفي التعدد عن الله سبحانه وكذا نفي الشركاء عنه سبحانه.

والمعنى في الآية: أمر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم أن ينادي بتوحيد الله ويدعو الناس إليه؛ توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الله في أسمائه وصفاته؛ قال سبحانه :﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نوحي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إله إِلاَّ أَنَاْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء:٢٥).

وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} (النحل: ٣٦).

قال الله تعالى محذرا من الشرك: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائدة: ٧٢).

وقال سبحانه: {حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} (الحج :٣١).

وقال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٦٢- ١٦٣).

وعليه فالآية بيان لأحدية الله تعالى وداعية إلى توحيده سبحانه وإفراده بالتوحيد ونفي الشريك عنه سبحانه .

[بيان فضل التوحيد]

مما ورد في ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ".

وفي الصحيحين أيضًا من حديث مَحْمُودَ بْنَ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيَّ أَنَّ عِتْبَانَ بْنَ مَالِكٍ – وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ... الحديث؛ وفيه قول النبي صلى الله عليه وسلم : "فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ."

ولمسلم عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهِ– رضي الله عنه–، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ دَخَلَ النَّارَ".

وعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" :مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ(١) ".

وكذلك توحيد الله تعالى سبب لرجحان الحسنات وتثقيل الميزان؛ والنجاة من العذاب؛ فعن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ

---

(١) أبو داود وأحمد وصححه الألباني.

إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ"، قَالَ : " فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ"(١)

قال ابن القيم في "مدارج السالكين" (١/ ٣٤٠) : فَإِنَّ الْأَعْمَالَ لَا تَتَفَاضَلُ بِصُوَرِهَا وَعَدَدِهَا، وَإِنَّمَا تَتَفَاضَلُ بِتَفَاضُلِ مَا فِي الْقُلُوبِ، فَتَكُونُ صُورَةُ الْعَمَلَيْنِ وَاحِدَةً، وَبَيْنَهُمَا فِي التَّفَاضُلِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالرَّجُلَانِ يَكُونُ مَقَامُهُمَا فِي الصَّفِّ وَاحِدًا، وَبَيْنَ صَلَاتَيْهِمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

وَتَأَمَّلْ حَدِيثَ الْبِطَاقَةِ الَّتِي تُوضَعُ فِي كِفَّةٍ، وَيُقَابِلُهَا تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِنْهَا مَدُّ الْبَصَرِ، فَتَثْقُلُ الْبِطَاقَةُ وَتَطِيشُ السِّجِلَّاتُ، فَلَا يُعَذَّبُ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ كُلَّ مُوَحِّدٍ لَهُ مِثْلُ هَذِهِ الْبِطَاقَةِ، وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يَدْخُلُ النَّارَ بِذُنُوبِهِ، وَلَكِنَّ السِّرَّ الَّذِي ثَقَّلَ بِطَاقَةَ ذَلِكَ الرَّجُلِ، وَطَاشَتْ لِأَجْلِهِ السِّجِلَّاتُ لَمَّا لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهِ مِنْ أَرْبَابِ الْبِطَاقَاتِ، انْفَرَدَتْ بِطَاقَتُهُ بِالثِّقَلِ وَالرَّزَانَةِ. انتهى

وَقِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَلَيْسَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ قَالَ: بَلَى وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ .[أخرجه البخاري تعليقاً].

ومعلوم أن كلمة التوحيد التي لا تثقل معها الذنوب هي التي لا يشوبها شرك بأنواعه أو تاب صاحبها مما ينافيها، ومما يستدل به على فضل التوحيد الخالص وضرورة نفي الشرك ما أخرجه مسلم وأبو داود عن ابن عباس أن رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) وحسنه وابن ماجه (٤٣٠٠) والحاكم رقم (٩) وأحمد (٦٩٩٤). وصححه الألباني في الصحيحة (١٣٥).

يَقُولُ" :مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَّعَهُمْ اللَّهُ فِيهِ".

فهؤلاء شفعوا لأنهم لا يشركون بالله شيئًا.

ومما ورد في فضل التوحيد كذلك حديث عبد اللّه بن عمرو مرفوعًا " :خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[(١)] ".

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ قال:سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ " : أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ[(٢)] ".

وللترمذي وحسنه عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً "[(٣)].

[تفسير قوله تعالى : { اللَّهُ الصَّمَدُ}]

الصمد اسم من أسماء الله الحسنى ؛ ورد في معناه عدة أقوال كلها صحيحة ؛ فقد أخرج الطبري بسنده عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (الصمد) قال: السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد عظم في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والغنيّ الذي قد كمل في غناه،

(١) أخرجه الترمذي وأحمد وحسنه الألباني في "السلسلة الصحيحة "(١٥٠٣).

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في "صحيح الجامع" (١١٠٤).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) وصححه الألباني.

والجبّار الذي قد كمل في جبروته، والعالم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفاته، لا تنبغي إلا له.[1]

وورد في تفسير مجاهد ص٧٦٠ عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: {الصَّمَدُ} «السَّيِّدُ الَّذِي قَدِ انْتَهَى سُؤْدُدُهُ»[2]

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: «الصَّمَدُ الَّذِي قَدِ انْتَهَى سُؤْدَدُهُ»[3]

أي له منتهى السؤدد والشرف والعظمة.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «الصَّمَدُ الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ»[4] أي يقصدونه فِي حَوَائِجِهِمْ وَمَسَائِلِهِمْ.

وقال الحسن في قول الله: {الصمد}، الذي يصمد إليه في الحوائج، ثم تلا هذه الآية: { ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ}.

وعَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: " الصَّمَدُ: الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ "[5] .

ونقل ابن كثير عن مُجَاهِدٍ {الصَّمَدُ} الْمُصْمَتُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ[6].

وأخرج عَبْدُ الرَّزَّاقِ(٣٧٣٧) قَالَ مَعْمَرٌ: وَقَالَ عِكْرِمَةُ {الصَّمَدُ}: «الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ».

---

(١) "جامع البيان" (٢٤ / ٦٩٢).

(٢) وأخرجه عبد الرزاق في المصنف (٣٧٣٩).

(٣) التوحيد لابن منده (٢/ ٦٢).

(٤) التوحيد لابن منده (٢/ ٦٢).

(٥) تفسير مجاهد ص ٧٦٠ .

(٦) مختصر ابن كثير للصابوني (٢/ ٦٩٣).

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: " الصَّمَدُ: هُوَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ "(١)

عن أبي العالية، قال: (الصمد) : الذي لم يلد ولم يولد، لأنه ليس شيء يلد إلا سيورث، ولا شيء يولد إلا سيموت، فأخبرهم تعالى ذكره أنه لا يورث ولا يموت.(٢)

وَقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: «الصَّمَدُ الَّذِي لَا يَخْرُجُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ شَيْءٍ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ» (٣) .

وعن عكرمة، قال في قوله: (الصمد) : الذي لم يخرج منه شيء، ولم يلد، ولم يولد.(٤)

وأخرج عبد الرزاق في المصنف (٣٧٣٦): عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: {الصَّمَدُ} : «الدَّائِمُ».

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ «الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ الدَّائِمُ»(٥) .

وقَالَ قَتَادَةُ: الْبَاقِي بَعْدَ فَنَاءِ خَلْقِهِ: {كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ}(٦)

وقَالَ قَتَادَةُ: لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ: {وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ}(٧).

---

(١) تفسير مجاهد ص ٧٦٠.

(٢) جامع البيان للطبري (٢٤/ ٦٩٢).

(٣) التوحيد لابن منده (٢/ ٦٢).

(٤) جامع البيان للطبري (٢٤/ ٦٩١).

(٥) التوحيد لابن منده (٢/ ٦٢).

(٦) مفاتيح الغيب (٣٦٢/٣٢).

(٧) مفاتيح الغيب (٣٦٢/٣٢).

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: هُوَ الَّذِي لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَلَا يَشْرَبُ الشَّرَابَ.[1]

وقَالَ: يَمَانٌ وَأَبُو مَالِكٍ: الَّذِي لَا يَنَامُ وَلَا يَسْهُو.[2]

قال ابن كثير: وَقَدْ قَالَ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ الطَّبَرَانِيُّ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ لَهُ، بَعْدَ إِيرَادِهِ كَثِيرًا مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ فِي تَفْسِيرِ "الصَّمَدِ": وَكُلُّ هَذِهِ صَحِيحَةٌ، وَهِيَ صِفَاتُ رَبِّنَا، عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ الَّذِي يُصمَد إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، وَهُوَ الَّذِي قَدِ انْتَهَى سُؤْدُدُهُ، وَهُوَ الصَّمَدُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، وَلَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ، وَهُوَ الْبَاقِي بَعْدَ خَلْقِهِ. وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ نَحْوَ ذَلِكَ أَيْضًا.[3] انتهى

[تفسير قوله تعالى : { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ}]

قوله سبحانه : { لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ } فيه بيان لبعض الصفات التي نفاها الله عن نفسه سبحانه؛ وهي نسبة الولد والوالد لله سبحانه؛ فالله تعالى منزه عن ذلك؛ وعن كل صفات النقائص والمعايب؛ فصفات الله لا نقص فيها ولا عيب؛ فهو الغني سبحانه؛ وفي الآية رد على زعم النصارى وقولهم أن الله تعالى اتخذ الصاحبة والولد؛ قال تعالى: { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا . لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا . تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا . أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا . وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا . إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا. وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا } [مريم : ٨٨ ــ ٩٥]

وقال: { وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ } [البقرة : ١١٦]

---

(١) مختصر ابن كثير للصابوني (٢/ ٦٩٣).

(٢) مفاتيح الغيب (٣٦٣/٣٢).

(٣) تفسير القرآن العظيم(٨/ ٥٢٩).

وقال سبحانه : { وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ} [الأنبياء : ٢٦]

قال ابن كثير في تفسيره (٥ /٣٣٨) في هذه الآية: يقول تعالى ردًا على من زعم أن له – تعالى وتقدس – ولدا من الملائكة ، كمن قال ذلك من العرب : إن الملائكة بنات الله ، فقال : {سبحانه بل عباد مكرمون} أي : الملائكة عباد الله مكرمون عنده ، في منازل عالية ومقامات سامية ، وهم له في غاية الطاعة قولا وفعلا. ا هـــ

وقال سبحانه : { بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }[الأنعام :١٠١]

وقال سبحانه حاكيًا قول الجن: { وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا } [الجن :٣]

وقال سبحانه مخاطبًا أهل الكتاب: { يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا . لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا} [النساء: ١٧١ ـــ ١٧٢]

وقال جل شأنه: { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ . لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ

قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المائدة : ٧٢ ــ ٧٥]

قال البخاري (٤٩٧٤) : حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: "قال الله تعالى: كذّبني ابن آدم و لم يكن له ذلك، وشتمني و لم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي، فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أولُ الخلق بأهون على من إعادته وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً وأنا الأحدُ الصمد، لم أَلِدْ و لم أُولد، و لم يكن لي كفواً أحد".

وورد في تفسير مقاتل بن سليمان (٤ /٦٢٩) : «لَمْ يَلِدْ» فيورث، «وَلَمْ يُولَدْ» فيشارك، وذلك أن مشركي العرب قالوا:

الملائكة بنات الرحمن. وَقَالَتِ الْيَهُودُ: عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ. وَقَالَتِ النَّصارَى: المسيح ابن الله. فأكذبهم الله– عز وجل– فبرأ نفسه من قولهم، فقال: «لَمْ يلد» يعني لم يكن له ولد «وَلَمْ يُولَدْ» كما ولد عيسى وعزير ومريم، «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ» يقول لم يكن له عدل، ولا مثل من الآلهة تبارك وتعالى علوا كبيرا.

تفسير قوله تعالى [{ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ }]

ومعنى قوله سبحانه: { وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ } أي ليس له كفء والكفء المثل؛ والله تعالى لا مثيل له ولا شبيه ولا نظير ولا عديل ولا شريك؛ فلا مثل له في ربوبيته ولا في أوصافه ولا في أفعاله سبحانه؛ فهو المتفرد في ربوبيته فلا رب غيره فهو الخالق المالك المدبر؛ وهو سبحانه المتفرد في أسمائه وصفاته؛ { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى :١١] فمن أثبت الربوبية لغير الله كفر؛ ومن عبد غير الله كفر ؛ ومن شبه الله بخلقه كفر؛ أو شبه الخلق بالله كفر؛ لأنه ليس في المخلوقين من

يحيط علما بالله ولا بحقيقة صفاته وكيفيتها؛ قال تعالى : { يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا}

وعليه فالله تعالى متره عن المثال ؛ قال تعالى : { فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل : ٧٤]

قال ابن عطية في تفسيره "المحرر الوجيز" (٣ /٤٠٩) : وقوله {فَلا تَضْرِبُوا} أي لا تمثلوا لله الأمثال، وهو مأخوذ من قولك: ضريب هذا أي مثله. انتهى

والخلاصة أن أهل السنة يصفون الله بما وصف به نفسه بغير تشبيه أو تمثيل أو تكييف؛ يؤمنون بالمعنى ويفوضون في الكيف؛ وينفون عن الله ما نفاه عن نفسه؛ لِأَنَّهُ سبحانه الْكَامِلُ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

والله وحده من وراء القصد

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي وآله وصحبه